

الاستشراق والتأليف المعجمي: (١)

بوركهارت دفين مصر عام ١٨١٧م نموذجًا

للدكتور عبد الهادي التازي

إن إلقاء نظرة عابرة على ما قدم به أسلافنا فيما يتصل بالتأليف المعجمي ليحملنا على أن نقف وقفة إجلال وإكبار أمام ذلك الجهد العظيم الذي بذله أولئك الرجال عبر التاريخ، وعلى مختلف الصعد، وبشتى الوسائل حتى تستمر اللغة في طريقها نحو التطور والازدهار والنماء ومواكبة المسيرة الحضارية مما تناولنا بعض البعض منه في أحاديث سابقة عرضت علينا في هذا المجمع (٢).

وإلى جانب ذلك العطاء ينبغي لنا ألا نضرب صفحًا عما ظهر من محاولات بناء قام بها رجال الاستشراق من مختلف جهات العالم للإسهام بدورهم في تقريب اللغة العربية إلى الآخرين حيث توفرت

المكتبة العربية على تأليف وأبحاث ومقالات وتعليقات كنا في حاجة ماسة إليها. أمانا قائمة طويلة عريضة لأسماء رجال قاموا فعلاً بخدمة اللغة العربية وقدموا لنا تجربتهم التي كانت بالنسبة لنا تجربة جديرة بالثقة، منظورًا فيها بعيون جديدة ومفاهيم أخرى غير التي كنا نعتادها (٣).

وهكذا ففي الإمكان أن نتناول الموضوع باختصار من زوايا ثلاث.

- (١) أقيمت هذه المحاضرة في الجلسة الثامنة والعشرين من جلسات مؤتمر المجمع في دورته الرابعة والسبعين ظهر يوم الأحد ٢٨ من ربيع الآخر سنة ١٤٢٩هـ الموافق ٤ من مايو (أيار) سنة ٢٠٠٨م.
- (٢) د. التازي: نحو معجم عربي يستجيب لمقتضيات العصر: قدم للمجمع في الدورة السبعين.
- (٣) د. التازي: موقف الاستشراق من اللغة العربية ومشاكلها.

بالإنجليزية وسيرة المؤلف باللغة العربية في جزأين، في كلكتا عام ١٨١٧^(*). وهناك من تناول اللغة العربية عن طريق تحقيق تأليف التراث العربي ابتداء من المعلقات إلى ما يتبعها من عيون مراجعنا العربية.

إلا أن هناك من المستشرقين من تناول العربية من خلال الرحلات التي قام بها عبر البلاد العربية فقدم لنا بذلك شبه تقارير عن واقع اللغة العربية في تلك المناطق التي زارها ... بل سجل لنا طائفة من الكلمات والمفردات والمصطلحات التي عرفت بها بلاد دون أخرى، وكانت هذه المحاولات مفيدة بالنسبة للذين يتتبعون تطور سيرة اللغة العربية مشرقاً ومغرباً، وعادت لنا مرجعاً مهماً من المراجع التي نعتمدها. وقد كان في صدر هؤلاء المستشرق الكبير الذي نتحدث عنه اليوم وهو جوهن لويس بوركهاردت (John Lewis Burckhardt) الذي

أدركه أجله بالديار المصرية قبل نحو من قرنين، وقد نقشت على قبره هذه الكلمات: هذا قبر المرحوم إلى رحمة الله تعالى الشيخ حام إبراهيم بن عبد الله بوركهاردت اللوزاني تاريخ ولادته في محرم ١١٩٩هـ وتاريخ وفاته إلى رحمة الله بمصر المحروسة في ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٣٢هـ.

ونريد أن نقول قبل أن ندخل في التفاصيل: إن هذه الأسرة؛ أسرة بوركهاردت أسرة سويسرية عرفت بعدد كبير من رجالها يمكن أن نرجع إليها في مصادرها، لكن يهمني من أولئك الرجال أن أشير إلى شخصية عاشت بالمغرب وكان لها صدى في أوساط مدينة فاس وبخاصة جامعة القرويين، ويتعلق الأمر بالأستاذ المتصوف بوركهاردت الذي ورد على بلادنا بحثاً عن شيخ يأخذ عنه الطريقة، وساقته الأقدار إلى مدينة سلا ليلتقي بسيد فاضل من أسرة بوشعرة الشهيرة، هذا

(*) نجيب العقيلي: المستشرقون، ج ١١ ص ٥٠، دار المعارف بمصر، ١٩٨٠م.

الجهات التي كان هو بعيداً عنها...
وكان في صدر ما شد انتباهه هو
البحث عما إذا كانت هناك رحلة
سابقة...

وهنا نرى حماسه تتركز على
الحصول على الرحلة، وفعلاً نجح في
الوقوف على مختصر لرحلة ابن
بطوطة، هذا المختصر كان للشيخ
البيلوني... رحلة ابن بطوطة إذا كانت
المفتاح الأساسي لبوركهارت في
اختراق المسالك والممالك (*)... وأنا
مؤمن بأن رحلة ابن بطوطة كانت
تلازم رحالتنا السويسري ليس فقط من
الناحية الجغرافية... ولكن كذلك من
حيث المحتوى ومن حيث الأسلوب، فقد
كان بوركهارت يسير على نفس خط
ابن بطوطة في اصطیاد النكت،
والاعتماد على الروايات من أجل أن
يكسب الرحلة مباحج جديدة ويجعلها
محببة لدى القراء.

وهنا ... سنحيل على باب

(*) رحلة ابن بطوطة، تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي، الجزء الأول، المقدمة، مطبوعات أكاديمية المملكة
المغربية في خمسة مجلدات، رقم الإيداع القانوني ١٩٩٦/٣٢١ م.

السيد الفاضل هو الذي دل الأستاذ
السويسري المتصوف بوركهارت على
شيخنا العابد الزاهد المولى علي
الدرقاوي الأستاذ آنذاك بجامعة
القرويين بالقسم العالي فيها.

بوركهارت هذا شوش على بعض
المهتمين ببوركهارت موضوع حديثنا،
قد تكون لنا عودة إليه لا سيما وقد ترك
هو الآخر بصمات جد مفيدة في باب
التراث.

فلنعد إذا إلى بوركهارت
الرحالة... دفين مصر ... هذا
المستشرق العملاق الذي نتحدث عنه
هو الذي فرض اسمه على كل الذين
تحدثوا عن رحلة شمس الدين أبي
عبد الله المعروف بابن بطوطة.

عندما أصبح بوركهارت ملتزماً
بتقديم معلومات عن المناطق الشرقية
التي عهد إليه بالبحث حولها كان ذكياً
عندما قرر أولاً أن يبحث عن المصادر
العربية القديمة التي اهتمت بتلك

الإتحاف والإطراف في مذكرات الرحالة السويسري اللوزاني وهي كثيرة ومتنوعة، هذا الرجل عرف بعدة أعمال مهمة:

١ - (بيترا) المكتشفة من خلال رحلته في الجزيرة العربية عام ١٨٢٨م.

٢ - رحلاته في الجزيرة العربية التي كانت مصدرًا مهمًا جدًا لمعرفة الجزيرة ورجالاتها وأحداثها.

٣ - رحلاته في بلاد النوبة وتعتبر من روائع الرحلات التي تتناول بلاد النوبة بجغرافيتها وعاداتها.

إلى ما يتبع هذه التأليف من تعليقات وملاحق تعتبر هي ذاتها مراجع من أجل المعلومات.. في كل تلك المذكرات والسجلات تستوقفنا عدة محطات... كل محطة منها تعتبر دنيا قائمة بذاتها.

ويهمنا منها في هذا العرض المقتضب محطة اللغة العربية، محطة التأليف المعجمي الذي شغل بال هذا العلامة السويسري منذ أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر.

لقد سمع - وهو بمكة يمارس فريضة الحج - سمع ما أوحى له - وهذا عنصر يحتاج للتنبؤ به وإعلاء شأنه، ما أوحى له بإضافة ملحق يحمل رقم ثمانية، عن اللهجات التي كانت أذنه تلتقطها من هذه الحشود التي ترد على مكة من مختلف جهات العالم: اللهجة المغربية، اللهجة الحجازية، اللهجة المصرية، اللهجة السورية... إلخ. لقد وجد في القوافل التي تتقاطر على مكة، وجد فيها مدرسة تغنيه عن السفر إلى تلك الجهات النائية، فأخذ قلمه ليسجل الفرق بين نطق هذا ونطق الآخر، وترك لنا في غضون رحلته ما يرشدنا إلى تأليف معجم ينفعنا ونحن نكتب المعجم التاريخي للغة العربية، وهذا عمل كبير جدًا لا يقوم به كل الرحالة الذين كان يهمهم فقط أن يقوموا بأداء المناسك والقيام بالشعائر، ولنقف معه قليلاً وهو يسجل تلك اللقطات التي استطاع أن يدونها في حكمة وأناة وتبصر.

كان يدون تواريخ وصول البعثات

المغربية التي وصلت إلى الحج ليستمع إلى أفرادها، وبذلك استطاع القول بأنه يتحدث عن حقائق ملموسة تهم اللغة العربية "من أكادير إلى مسقط" على حد تعبيره.

أكثر من هذه الملاحظات، وهي مهمة جدًا، رأينا بوركهارت وهو في بلاد النوبة يقدم لنا جملة من المعلومات التي تتصل باللغة العربية بل إنه يقدم لنا كشفًا لمعجم لغوي فريد يشتمل على مفردات عربية تقابلها مفردات باللغة النوبية (Noubs) والكونسية (Kensy) مفردات تتجاوز المئتين بالإضافة إلى كشف آخر بمعاني بعض الكلمات العربية البشارية BISHARU يناهز المئة المفرد..

عمل كهذا يحتاج منا إلى وقفة بل وقفات لتقدير جهد الرجل في سبيل توثيق مفردات عربية توجد في بلاد نائية، مع مقابلها باللهجات الأخرى.

الذي أريد أن أخلص إليه من خلال هذا العرض المقتضب أن المجمع وهو يفسح المجال لرجال الاستشراق

ونشاطهم فإن هذا يعني أن المجمع حريص على الاستفادة من كل جهد يرمي إلى إنماء وتطور وازدهار اللغة العربية من أي مصدر كان، وأن اللغة العربية لا تسمح بأن تعكف على نفسها وترضى بالموقف الذي هي عليه بل إنها - وكما كانت بالأمس - تعمل على كسر الحدود والعراقيل لتظل مواكبة للعصر الذي تعيش فيه وما لا يدرك كله لا يترك بعضه.

* جدول معاني كلمات عربية وما يقابلها بلغات أهل النوبة.

عربي	نوبة	كنوس
سجاد	سما	سيميج
دنيا	دنيا تيكا	دونيات
يوم	على	أوجرسك
ليلة	أواكا	أوجوك
نجوم	ونجيفا	ووسيك
شمس	مشقه	مسيك
ظل	نورغا	نوجي
قمر	إيناتيغا	أوناتيغ
ريح	توغ	توروك
سحاب	كورونجاد	غيمك

عربي	نوبة	كنوس
ثور	جورونديغ	غورتوت
جاموس	جاموس	جاموس
فرس	مورتيجا	كوكي
حمار	كاجا	هانوب
سرج	دوجركا	جوكريك
خروف	أجدريفا	إيجت
حمل	أجنانديغا	دويرك
عنز	فكا	برتيجي
كلب	موكه	ويلك
قطعة	كديسكا	سبكي
غزال	كدجاتا	غالك
ذكر	أوندا	أوندو
أنثى	كاريا	كارو
شتاء	أورونجا	أوتي
صباح	مشاناك	تاجيركي
مساء	مغريبدو	مغريكي
أرض	جوركا	أرض
رمل	سفكا	سيفكي
خشب	كيغا	برك
أورة	اللوتي	كلايغا
حمامة	منك	حمامغا

عربي	نوبة	كنوس
ماء/بحر/نهر	أمانغا	أيسينغ
فيضان	دهميرا	موسيرك
شمال	كالوغا	كالونغر
جنوب	أوروغا	أونغوغر
شرق	ماتوغا	مالتيني
غرب	تتوغا	تتغارو
سنة	جمغا	ججنگ
العام الماضي	جمجوروك	نينغ
شهر	شهر	زوينغ
رمضان	مسه	دربك
صيف	فاجونجا	بوجونج
أشجار	جولاغا	جوغ
غبار	توكا	كوديا
نار	أيكأ	يك
فحم	جرغيتا	أولوتي
قطيع	أرتيجا	أرتي
جمل	كميكا	كماك
ناقة	بكيراكا	بكيراك
بقرة	تيغا	تيغ

عربي	نوبة	كنوس
حية	أوسلنجيغا	أسياعي
عقرب	سيجيكا	إيكنلكي
طير	كاورتيجا	كورتاغ
ريش	ريشغا	ريشكي
زبد	دسك	نويغا
عسل	كسلكي	عسلا
حليب	أدجي	سوغا
خبز	كالك	كباكا
لحم	كسوسوغ	أزيكا
بيض	غاسكنيتك	كومبوغ
صوف	ابوكي	فاكا
قرون	نشينغ	نشيغا
سفينة	كوبكي	سجيركا
شراع	ساريكي	كيلاغا
رجل	اوغيغ	إيجا
امراة	انج	اونيغا
ابن	توت	توتا
ابنة	بيروغ	بيروغا
زوج	ادي	إتا
زوجة	أينجي	أدنجا
أب	أمبابكي	أبوغا

عربي	نوبة	كنوس
صغر	أبوكودرو	أبوكودرو
سنؤنو	ساسوركى	سارسوره
سمك	كاراغ	انجسيغا
تمساح	إيلوغ	إيلونجا
أسد	إيسينغ	إيسيغا
دودة	ويجتي	ويركيغا
نخلة	نبتيج	فنتيغا
سدر	أمبوغ	أمبيغا
دقيق	أليك	أليغا
ذرة	ميريق	ماريغا
شعير	سيرنغ	سيرينغا
حمص	حمصكي	حمصكا
عدس	نيرك	عدسكا
قطن	غوتونج	كوشماكا
حرير	حريركي	حريركا
تبغ	دخانج	توليغا
عنب	عنبكي	عنبغا
بطيخ	بطيخي	بطيهجا
خس	خسكي	خسكا
أرنب	دينغا	وزلا
ضبع	أديغا	أديك

عربي	نوبة	كنوس
شوارب	شاربكا	شاربكا
أذن	أولوك	أوكيغا
حنجرة	غوسكي	غوسكا
لحية	ساميك	سميجا
رقبة	اييك	إييغا
ذراع	يغ	إيديغا
ظهر	جيرك	جيركا
أصابع	سباغ	سباكيغا
معدة	توغ	توغا
صدر	إيرتيغ	دوغوسيغا
ابن عم	أمبنايننتوتي	أبانينجانتوتو
جد	أنوكي	أنوجا
سنيد	تيرتيج	تورنجا
خادم	خادمكي	أشانجا
عبد	نوجوتي	أوشينجا
عبد	نوجوجي	أوشاجا
مفتاح	مفتاحكي	كوشيركا
حائط	كاتيرغ	سوبيغا
غرفة	كيريج	كيرغا
فرشة	فرشكي	بيريشكا
حصير	حصيرك	حصيركا

عربي	نوبة	كنوس
أم	أنيجي	أنينجا
أخت	أنسيك	أنيسيغا
أخ	أمبسكي	أنينجاجا
عم	أمبناك	أبانينجاجا
نبيذ	نبيغ	نبيد
زيت	زيتي	زيتا
ملح	أوميوتي	إيميتا
فلفل	فلفلكي	فلفلكا
قهوة	قهوجي	قهوة
سعوط	نشوكي	نشوكا
جن	جنكا	جنكي
حياة	إينوغو	أغني
موت	ديارك	دياكا
مرض	أودي	أودي
جدري	جدرিকা	جدريكي
طاعون	كوباكي	كوباغا
عين	ميسيك	مينغا
أنف	سورنج	سورنجا
فم	أجيلك	أكا
شفاه	شندوك	شندوجا
سن	نلكي	نيتا

عربي	نوبة	كنوس
باب	بابكي	بابكا
قربة	قرغي	بربيه
ملعقة	ملقاقي	ملقاقة
رحل الجمال	هويجي	هويغا
نول	نسجاكي	نسيجا
شمع	شماغي	شياماغا
واحد	واروم	ويركا
٢	أووم	غوغا
٣	توسك	توسكوغا
٤	كيمسون	كيمسوغا
٥	درجو	درجا
٦	غوردجو	غوردججا
٧	كولودو	كولودغا
٨	إيدو	إيدوغا
٩	إيسكودو	أوسكودا
١٠	ديمنو	ديماغا
١١	ديميدوارو	ديميويرا
١٢	ديميدريوم	ديمنديراو
٢٠	أريما	أرو
٣٠	ثيلاثينا	ثيلاثينو

عربي	نوبة	كنوس
طاحون	جوك	جوغا
فرن	طابونجي	طابونجا
سراج	سيراكي	سيراكَا
ثور	نوت	اللاتا
ناعورة	كوليچ	اسكاليغا
سكين	كانديج	كانديجا
بندقية	بندقي	بارودكي
سراويل	شراوالكي	ليباسكا
طاقية	تاركيه	تاكيجا
خاتم	خاتم	خاتمجا
قرط	زمامكي	رمامكا
أسواره	زواركي	زوارجا
حجاب	سوركي	شوكا
حذاء	حذاء	كوريسك
إبرة	إنتلاجي	إنتلس
قدم	اوسي	أويغا
شعر	سيركي	شاغرتيغا
دم	جيركي	بيسكا
قلب	آغي	إيكا
عظم	كيت	كيسرغا
بيت	كاجي	نوغا

عربي	نوبة	كنوس
طمع	نايينو	بخيلا
ثراء	سيريم	شبيكوا
فقر	مسكين	فوقرا
عدل	أدليبو	مسودا
ظلم	ظاليبو	ظالم
حكيم	أريكاتو	أونيكيئا
أحمق	دوشون	دوشا
فراح	نوبكي	نوبا
تاجر	خواجهي	سفري
٥٠	كمسينو	كمسينو
١٠٠	ايميلوارو	ايميلويرا
١٠٠٠	دولولوارو	دوريويرا
صديق	صاهبكا	صاهيغا
عدو	عدووم	أدوغا
زواج	ايركينيغ	باليغا
عروس	ايرلينيغولغ	نوكودوغا
يبيع	دجان	دجان
حاكم	حاكمكي	حاكمغا
طلاق	طليقابو	تالك
وسيم	تونجيلو	أشريا
قبيح	سوالو	أوزا

عربي	نوبة	كنوس
أربعون	أربعون	أربينو
ورقة	جرماسكي	ورقا
قلم	قلمكي	قلمجا
ذهب	دونجوي	شوننجاركا
فضة	فدكي	فوداجا
جديد	شرتيج	فريسجا
نحاس	نحاسجي	نحاسجا
دراهم	دونجوي	شونجيركا
لص	مغاسكي	أمارغاتا
حرب	كتالكي	دينغيغا
سلام	جيندوس	جينغيشا
نصر	نيسرتاكو	نصراغا
قبر	تيك	ترباغا
قانون	شيرا	هاغيغا
جن	سيركو	جاكير
خوف		
شجاعة	أوكجوم	أوكدجا
حب	دولي	دولي
كراهية	تسري	موني
كرم	دوخوم	دوخ

عربي	بشاري
حجر	أوي
حمار	أوميغ
خروف	توناي
حمل	أونا
كلب	أوياس
غزال	أوغانا
أرنب	تيمبايهوي
ضبع	كيراي
طير	كيلاي
نعامة	أودليم
نخل	توملوك
ملح	أوموس
زبد	أولا
حليب	تي
خبز	أوتام
لحم	توشا
صوف	إيهامو
جلد	أوسار
دم	أبوي
شفاه	تمبوروي
أذن	تونغي
لحية	هاموي

عربي	نوبة	كنوس
عجوز	شيبكي	شيبغا
تكلم	بيان	بيان
صمت	كيتوس	هيسو

عربي	بشاري
سماء	أوتريك
يوم	توي
ليل	أفا
شمس	توين
قمر	أوندسيم
ريح	بيرام
مطر	أوبرا
شتاء	أودراك
حار	تولا
بارد	أوموكيرا
صباح	توكرووم
شمال	أوبها
جنوب	أوما
غرب	أوغار
شرق	أوشيرك
نهر	أوبهار
ماء	أيام

عربي	بشاري
بقرة	أوشا
حصان	هتاي
سن	توغريك
عظم	تيميئا
رجل	وتاك
امراة	تاتاكيت
ولد	أور
بنت	تورو
رأس	أوغورما
عين	تيليلي
أنف	توجينوف
قبر	أوهافير
سيف	أماديد
رمح	توسنا
سكين	وورار
ثوب	أوسكاك
حذاء	أومادا
ذهب	ديموراري
قربة	أوسار
زوجة	تيجاتو

أ.د. عبد الهادي التازي

عضو المجمع من المغرب

عربي	بشاري
ذراع	أويا
رجل	رجاد
أصبع	تينبالا
أب	بابو
أم	توندا
أخ	أسانوك
أخت	توكاتو
ابن عم	دوراو
عبد	كوشا
عبدة	توكاشا
موت	أيا
مرض	ليهابو
خيمة	ايغوا
حصيرة	حصير
طاحون	ميرهاكا
جبل	أوربي
شجر	هندي
نار	تونيت
نبح	توري
جمل	أوكام
ناقة	تيرابي